الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

اللجنة الشعبية العامة للتعليم والبحث العلمي

جامعة المرقب

كلية الآداب والعلوم بزليتن

بحث بعنوان:

(نظرية الفعل الإنساني في فلسفة الفارابي)

مقدم من الدكتور :

فيصل صلاح الرشيدي

للعام الجامعي ٢٠٠٩-٢٠١٠ ف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من سار على نهجهم إلي يوم الدين وبعد:-

تمهيد:

في هذا البحث سوف نتحدث عن نظرية الفعل الإنساني عند الفارابي وهي تتمثل في حقيقة الفعل الإنساني وتقسيمه إلي الأفعال الإنسانية حسب فلسفته الأخلاقية.

يفسر الفارابي سمات وخصائص الفعل الإنساني الذي يؤدي إلي الأخلاق الحميدة ، والسلوك الطيب ، من خلال قاعدة الحسن والقبح بالنسبة إلى الأفعال الإنسانية .

ومن أركان الفلسفة الخلقية في فلسفة الفارابي دعائم الإلزام الداخلي النابع من الإيمان وضمير الإنسان وكذلك نيته.

ثم نتحدث عن شروط الإلزام الأخلاقي ومن أهمها التكليف والعقل ،الذي ينتج عنها المسئولية، أي أن كل إنسان في فلسفة الفارابي الأخلاقية مسئول عن فعله دون غيره ،لأن قاعدة الثواب والعقاب مترتبة على مسئولية الإنسان باعتباره إنساناً كرمه الله سبحانه وتعالي بنعمة العقل،وجعله خليفته في الأرض،وكذلك ينتج عن المسئولية الجزاء ،فنجد الفارابي يقسم الجزاء إلى قسمين :الجزاء الدنيوى والجزاء الأخروي.

ويتحدث الفارابي بشئ من التفصيل عن النية والضمير الإنساني النابع من داخل الإنسان،والنية لها علاقة كبيرة بالإعمال الإنسانية .

- وبعد أن شرح الفارابي النية تحدث عن النفس وعلاقتها بالأخلاق الإنسانية،ويحدد بذلك طبائع النفس الإنسانية.

- ويذكر الفارابي الفضائل والرذائل وعلاقتهما بالنفس والفعل الإنساني،لأن الفضائل عنده ترمى إلى مكارم الأخلاق الحميدة والجميلة،ويشرح الرذائل وأنواعها لكي يتجنبها الإنسان لأنها مفسدة ،ومن أهم الفضائل التي ذكرها:فضيلة العلم ،والخشوع،والصبر،والشجاعة،والكرم،وبعد ذلك يذكر الرذائل مثل رذيلة الرياء،والغرور،والجهل،وبذلك يصل الفارابي إلى أن الفعل الإنساني يؤدى إلى فلسفة أخلاقية متكاملة.

أولاً:أهمية الفعل الإنساني في الدراسات الإنسانية :-

الفعل الإنساني هو محور الدراسات الإنسانية لأن الإنسان هو جوهر الوجود،وأن الإنسان مكرم بالعلم.

يقول الفارابي [*] العلم الإنساني: هو الذي يفحص عن الغرض الذي لأجله كوّن الإنسان،وهو الكمال الذي يلزم أنْ يبلغه الإنسان،وماذا وكيف هو؟

هو النظر فيما للإنسان بالإرادة ولسائر الأشياء الأخرى،فيُفرد للأشياء الكائنة عن الإرادة نظر وشخص وعلم [1].

---

[*] – هو محمد بن محمد طرخان من فارب، تركستان، وأصله من أسرة تركية ،توفي سنة ٣٣٩هـ -٩٥٠م ، وهو الملقب بالمعلم الثاني ولم يكن أضل منه في حكماء (الإسلام قبله)

[1] –الحدود والرسوم – الفارابي- تحقيق د/جعفر آل ياسين- عالم الكتب- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م – ص٣٨٠.

والإنسان عند الفارابي مكرم بنعمة العقل،ومن خلاله يختار الإنسان أفعاله وسلوكه وإرادته فيقول ((العقل هو الذي صار الإنسان إنساناً. وأسم العقل قد يقع على إدراك الإنسان الشئ بذهنه، وقد يقع على الشئ الذي يكون به إدراك الإنسان والأخير يسمى عند القدماء نطقاً[١] .

ومن الجدير بالذكر بأن الفارابي أشار إلي أهمية وجود الإنسان ،وغرضه من الحياة ،لكي يبلغ أقصى درجة الكمال وهي السعادة القصوى.

حيث يقول((وإنَّ كل موجود إنما كوّن ليبلغ أقصي الكمال الذي له أنْ يبلغه بحسب رتبته في الوجود الذي يخصّه، فالذي للإنسان من هذا هو المخصوص باسم السعادة القصوى وما لإنسان إنسان من ذلك بحسب رتبته في الإنسانية ،هو السعادة القصوى التي تخص ذلك الجنس والجزئي الكائن لأجل هذا الغرض هي الصناعة الجزئية العادلة والفاضلة))[٢].

وهذا كله يتناسب مع فعل الإنسان ومسئوليته اتجاه الأخلاق لأن موضوع علم الأخلاق هو الإنسان من حيث هو كائن يعقل أي يسير في حياته بحرية وإدراك ذلك يقول الفارابي((وأما المعقولات التي يمكن أنْ توجد خارج النفس الإرادة،فإنّ الأعراض والأحوال التي تقترن بها مع وجودها هي أقصي بالإرادة))[٣].

---

[١] – التنبيه علي سبيل السعادة- الفارابي – تحقيق د/ جعفر آل ياسين- دار الأندلس للطباعة والنشر الطبعة الأولى – ١٤٠١هـ-١٩٨١م- ص٥٩.
[٢] – تحصيل السعادة- الفاربي-ص٨١.
[٣] – المصدر السابق – ص٦٥.

ويجب أن تقدر الأفعال فيعلم الأخلاق بحسب المكان ،والزمان،فقال((وفي الأخلاق فإن الأفعال إنما ينبغي أن تقدر كميتها في العدد والمقدار،وكيفتها في الشدة والضعف بحسب الإضافة إلي الفاعل ،والذي إليه الفعل والذي لأجله الفعل وبحسب الوقت وبحسب المكان مثل الغضب فإن المعتدل منه بحسب حال من يُغضب عليه))[1]

ثانياً: حقيقة الفعل الإنساني عند الفارابي:-

يعرَّف الفارابي معني الفعل الإنساني الذي يرتبط بالأخلاق ،وأن فعل الإنسان مرتبط بقدرته علي الإدراك والفهم،حتى يتبين للإنسان ماذا يفعل؟ وماذا يدرك؟

حيث يقول((وأكمل ما تكون القوة الفكرية متى كانت إنما تستنبط أنفع الأشياء في تحصيلها،وربما كانت خيراً في الحقيقة،وربما كانت شراً،وربما كانت خيرات مظنونة أنها خيرات، فإذا كانت الأشياء التي تستنبط هي الجميلة والحسنات ،وإذا كانت الغايات شروراً كانت الأشياء التي تستنبط بالقوة الفكرية شروراً أيضاً وأمور قبيحة وسيئات))[2].

وفي مكان آخر يفصّل الفارابي أهمية العقل بالنسبة لعملية الإدراك فيقول ((قوم من الناس يسّمون المتعقلين حكماء والحكمة * أفضل علم لأفضل الموجودات والتعقل إذا كان إنما يدرك في الأشياء الإنسانية ،فليس ينبغي أن يكون حكمة اللّهم إلاّ أن يكون الإنسان هو أفضل ما في العالم وأفضل الموجودات فإذا لم يكن الإنسان كذلك ،فالتعقل ليس بحكمة إلاّ

---

[1] –فصول منتزعه- الفارابي- تحقيق د/ فوزي متري النجار- دار المشرق – بيروت – طبعة ثانية ١٩٩٣م – ص٣٩.

[2] – تحصيل السعادة – الفارابي- ص٦٩.

* الحكمة الخلقية : قسم من أقسام الحكمة العملية ، فائدتها أن تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتركزيها النفس، وتعلم الرذائل وكيفية توقيها لتتطهر عنها – المعجم الفلسفي- د/ مراد وهبة وآخرين- القاهرة -١٩٦٦- ص٦٧.

بالاستعارة والتشبيه)) [1]، وعندما يكون الإنسان مدرك لفعله وفهمه فيؤدي به إلي السلوك الحسن.

وقد ميز الفارابي بين فعل الإنسان وغيره من الكائنات الحية لأنه مميز بنعمة العقل مختلفُ عن الحيوانات والجمادات ،يقول الفارابي ((إن الأشياء التي توجد للإنسان بالطبيعة والفطرة * تتقدم في الزمان الإرادة والاختيار))[2].

والفعل الإنساني يختص بالإنسان فقط لأنه يتميز بالذهن وهو القدرة علي اختيار الأفعال والآراء حيث يقول((الذهن هو القدرة علي مصادفة صواب الحكم فيما يتنازع فيه من الآراء المتعارضة والقوة علي تصحيحه،فهو جودة استنباط لما هو صحيح من الآراء ،فهو إذن نوع من أنواع التعقل))[3].

والإنسان عندما يكون ذا رأي فلابد أن يختار الأفضل من الأفعال الخيرة الفاضلة فقال((جودة الرأي هو أن يكون الإنسان ذا رأي، أو جيّد الرأي،وهو أن يكون الإنسان فاضلاً خيراً في أفعاله ثم أن يكون قد جرّبت أقاويلة وآراؤه ومشوراته مراراً كثيرة،فوجدت سديدة مستقيمة تنتهي بالإنسان إذا أستعملها،إلي عواقب محمودة، ويكون قد صار لذلك مقبول القول))[4].

---

[1] – فصول منتزعة – الفاربي- ص٦١،٦٢.

* - فطري: عند ديكارت يقال هذا المصطلح علي وقائع الشعور والتجربة الباطنة والصور الأولية للمعرفة ، في مقابلة (مكتسب)
فطرة سليمة: استعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل؛ وهي مرادفه للعقل عند ديكارت(المعجم الفلسفي د/مراد وهبة وآخرين- ص١٢٣..

[2] – الحدود والرسوم – الفارابي-ص٤١٥

[3] – فصول متنوعة –ص ٥٨،٥٩

[4] – المصدر السابق ،ص٥٩.

وهناك أفعال تصدر من الإنسان شبيهة بأفعال الحيوانات غير الناطقة ولكنها فضيلة ،يقول الفارابي((ولكن ينبغي أن ينظر كيف هذه الفضيلة الطبيعية ؟هل هي بعينها هذه الفضيلة الإرادية أم لا؟ لكن ينبغي أن يقال إنها شبيهة بها مثل الملكات التي توجد في الحيوانات غير الناطقة ،مثل ما يقال الشجاعة في الأسد،والمكر في الثعلب،والروغات في الذئب،والسرقة في العَقْعَقْ وأشباه ذلك))[1].

والإنسان مفطور علي أن أفعاله الأخلاقية نحو الفضيلة لذلك يقول الفارابي((فإنه لا يمنع أن يكون كل إنسان مفطور علي أنْ تكون قوة نفسه في أنْ يتحرك إلي فعل فضيلة ما من الفضائل أو ملكة ما من الملكات في الجملة؛ أسهل عليه من حركته إلي فعل ضدها. والإنسان أولاً إنما يتحرك إلي حيث تكون الحركة عليه أسهل إنّ لم يُقْسَر علي شئ آخر غيره ،فإذا كان إنسان من الناس مفطوراً مثلاً علي أنْ تكون حالة فيما تقدم عليه من المخاوف أكثر من أحجامه عنها))[2].

إذن الفعل الإنساني عند الفارابي حقيقته الفعلية اختصاصه بالإنسان دون الحيوان لأنه ينظم الأشياء بالتفكير والعقل،حيث يقول((فالفضيلة الفكرية إذن سابقة للفضائل الخلقية))[3].

والفعل الإنساني لا يصدر إلا من إنسان يدرك المسئولية ، وقد قسم الفارابي الأفعال إلي قسمين:

---

[1] – تحصيل السعادة- الفارابي – ص٧٦.
[2] – المصدر السابق – ص٧٦،٧٧.
[3] – المصدر السابق ص٧٥.

أ- الأفعال التي تحقق المصلحة للفرد والمجتمع.

ب- الأفعال التي لا تحقق المصلحة هي التي تنتج عنها السعادة والخيرات فيقول الفارابي((إن التـي يُنـال بهـام اهـو فـي الحقيقـة سـعادة هـي الخيـرات والأفعـال الحـسنة الجميلـة والفضائل))[1]

-أما الأفعال السيئة فينتج عنها الشرور ولا تحقق المصلحة بها، حيث يقول ((وأنّ ما سواها هو الشرور والقبائح والنقائص وأن وجه وجودها في الإنسان ،أن تكون الأفعال والسير الفاضلة موزعة في المدن والأهم علي ترتيب ،وتستعمل استعمالاً مشتركاً))[2].

والأفعال الصالحة هي التي تحقق الأخلاق الفاضلة ولكن لا يتم ذلك إلا من خلال الرئاسة الحكيمة ومسئولية الإنسان التي تتميز بالموضوعية والبعد عن الأهواء والرغبات الشخصية فقال((إنّ تلك ليست تأتي إلاّ برئاسة تمكّن معها تلك الأفعال والسير والشيم والملكات والأخلاق في المدن والأمم وتجتهد في أن تحفظها عليهم حتى لا تزول ،وأنّ تلك الرئاسة لا تتأتي إلاّ بمهنه وملكة يكون عنها أفعال التمكين فيهم وأفعال حفظ ما مُكّن فيهم عليهم،وتلك المهنة هي الملكية والمُلك أو مشاء الإنسان أن يسميّها))[3].

ويبين الفارابي في موضع آخر أن أفعال الإنسان جزآن منها ما يحقق الشئ الفاضل المفيد للإنسان ،ومنها ما لا يحقق ذلك فيقول:((وهذا العلم جزآن جزء يشتمل علي تعريف السعادة ،وتمييز ما بين الحقيقة والمظنون به،وعلي إحصاء الأفعال والسير والأخلاق

---

(1) – الملة ونصوص أخري – الفارابي – تحقيق د/ محسن مهدي- الطبعة الثالثة- سنة ٢٠٠١- ص٩٩.
(2) – المصدر السابق – نفس الصفحة.
(3) - المصدر السابق – نفس الصفحة.

والشيم الإرادية الكلية التي شأنها أن توزع في المدن والأمم وتمييز الفاضل منها من غير الفاضل))[1].

والآداب التي يهدف إليها الفارابي هي علم الأخلاق وهذا ما يسمي بالروح الأدبي فيقول ((إن الأخلاق والواجبات هي الروح الأدبي أو النظام الأدبي الذي أودعه الله في نفوس جماعات البشر،وجعله من أكبر العوامل في سعادتهم وشقائهم))[2].

والمسئولية عند الفارابي في إصدار الأفعال لا يتم إلا عن طريق الفكر الصحيح ، واستخدام العقل في التفكير المنظم والمسلسل وينال الإنسان من خلال أفعاله السليمة السعادة حيث يقول((فواضع النواميس هو الذي له قدرة علي أنْ يستخرج بجودة فكرته شرائطها التي بها تصير موجودة بالفعل وجوداً تنال به السعادة القصوى ،وبيّن أنه ليس يلتمس واضع النواميس استنباط شرائطها أو تعقلها قبل ذلك؛ ولا يمكن أن يستخرج شرائطها التي يسّدد بها نحو السعادة القصوى أو يعقل السعادة القصوى))[3].

من النص السابق يتضح لنا أن الفارابي عند تقسيمه لحقيقة الفعل الإنساني يستدل بالأمور العملية وضرب الأمثال ليبين أهداف وحقائق موضوعية للأخلاق العملية.

فيقول ((العلم الإنساني من الناحية التطبيقية ،الكمال الذي يبلغه الإنسان ماذا وكيف هو؟))[4].

---

[1] - الملة ونصوص أخرى – الفارابي –ص ٧٢.
[2] – الأخلاق والواجبات – الشيخ عبدالقادر المغربي- المطبعة السلفية- القاهرة – ١٣٤٧هـ - ص٢٨.
[3] – تحصيل السعادة – الفارابي- ص٩١ .
[4] – تحصيل السعادة – الفارابي- ص١٠٥.

والأخلاق العملية التي تصدر عن فعل الإنسان تحقق خصال الخير وتفارق الأهواء والرغبات الشخصية فقال((الأدب مفارقة الهوى مع مراقبة الرضي،وقيل:حقيقة الأدب اجتماع خصال الخير،ومنه"المأدبة" لأنّ فيها اجتماع لطائف الأغذية))[١].

ومن خلال تقسيمات الفارابي للفعل الإنساني عندما تحدث عن السعادة والأدب والأخلاق العملية للإنسان نجده يذكر أن كل ذلك ينتج من خلال العقل بالفعل فيقول((العقل بالفعل:هو الذي تحصل فيه المعقولات التي انتزعتها عن المواد معقولات بالفعل ،وكانت قبل أنْ تنتزع عن موادها معقولات بالقوة ،وتلك الذات إنما صارت عقلاً بالفعل التي هي بالفعل معقولات،فإنها معقولات بالفعل وإنّها عقل بالفعل شئ واحد بعينه .وهذه المعقولات بالفعل وجودها تابعٌ لسائر ما يقترن بها فهي مرة أين،ومرة متي، ومرة وضع))[٢].

وهذا العقل ((إنه يفحص عن أصناف الأفعال والسُنن الإرادية))[٣].

***حقائق الفعل الإنساني عند الفارابي :-**

الأعمال الصالحة دالة علي سبب المواهب والنور و الهداية وجزيل الفضائل ،لأن الإنسان لا ينوي إلا فعل نفسه، وأن الأمور المكتسبة للأفعال الإنسانية تبين حقيقة الفعل الإنساني سواء كانت قدرة أو مكتسبة حيث يقول((اسم العلم يقع علي أشياء كثيرة،إلا أنّ العلم الذي هو فضيلة ما للجزء النظري هو أن يحصل في النفس اليقين بوجود الموجودات التي وجودها وقوامها لا يصنع إنسان أصلاً،وما هو كلّ واحد منها وكيف هو عن براهين

---

[١] – الملة ونصوص أخرى – الفارابي- ص٨٤
[٢] – الحدود والرسوم – الفارابي- ص٣٦٨.
[٣] – الملة ونصوص أخرى- الفارابي- ص٥٢.

مؤلفة عن مقدمات صادقة ضرورية كلية أوائل تيقن بها وحصلت معلومة للعقل بالطبع))[1].

ومن أهم خصائص الفعل الإنساني عند الفارابي: أنه لابد من وجود العقل والحرية في اختيار الأفعال حيث يقول((وعلي الغايات والكمال الذي لأجله كوّن الإنسان،ويعلم أن المبادئ الطبيعية التي في الإنسان وفي التعليم غير كافية في أن يصير الإنسان بها إلي الكمال الذي لأجل بلوغه كوَن الإنسان ويتبين أنه محتاج فيه إلي مبادئ نطقية وعقلية يسعي الإنسان بها نحو ذلك الكمال))[2].

مما سبق يتبين لنا أن الفارابي يبين لنا حرية الإرادة والاختيار للفعل الإنساني يشهدها الإنسان بالبداهة والوجدان، وعندما يكون الإنسان عاقلاً حراً في اختيار فعله فيزن أفعاله التي تختار الأفعال الحسنة فيقول أيضاً((يشرع العلم في العلم الإنساني،ويفحص عن الغرض الذي لأجله كوّن الإنسان ،وهو الكمال الذي يلزم أنْ يبلغه الإنسان،ماذا وكيف هو،ثم يفحص عن جميع الأشياء التي بها يبلغ الإنسان ذلك الكمال إذ ينتفع في بلوغها ؛ وهي:-

((الخيرات والفضائل والحسنات ويميزها عن الأشياء التي تعوقه عن بلوغ ذلك الكمال وهي الشرور والنقائض والسيئات))[3].

---

[1] – فصول متنزعة – الفارابي- ص٥١،٥٢.
[2] – تحصيل السعادة- الفارابي- ص٦٠،٦١ .
[3] – المرجع السابق- ص٦٣

ويقول أيضاً((إن الأشياء التي توجد للإنسان بالطبيعة والفطرة تتقدم في الزمان الإرادة والاختيار))[١].

وعن طريق الحرية والإرادة يحصل الإنسان علي الفضيلة ،وتحمل المسئولية حيث يقول((تلك الفضيلة طبيعية <و> كائنة الطبع، مقرنة بفضيلة فكرية كائنة بالطبع تستنبطها الفضائل الخُلقية الكائنة بالإرادة، وتكون الفضيلة الكائنة بالإرادة هي الفضيلة الإنسانية التي إذا حصلت للإنسان بالطريق الذي تحصل له بها الأشياء الإرادية حصلت حينئذٍ الفضيلة الفكرية الإنسانية))[٢].

ويقول أيضاً((وأول الرتبة التي بها الإنسان إنسان هو أن تحصل الهيئة الطبيعية القابلة المعدة لأن يصير عقلاً بالفعل[*]، وهذه هي المشتركة للجميع، فبينها وبين العقل الفعّال رتبتان هما: أن يحصل العقل المنفعل بالفعل، وأن يحصل العقل المستفاد ، وبين هذا الإنسان الذي بلغ هذا المبلغ من أول رتبة الإنسانية))[٣].

- **أحكام حقيقة الفعل الإنساني عند الفارابي:-**

هناك أمور فعلية للإنسان لا يمكن التوكيل فيها وهي قسمان :-

---

[١] – الحدود والرسوم – الفارابي- ص٤١٥.
[٢] – تحصيل السعادة – الفارابي- ص٧٦.
[*] – العقل بالفعل : ((استكمال النفس فى صورة ما أو في صورة معقولة حتى متى شاء عقلها وأحضرها بالفعل))- المعجم الفسلفي د/ مراد وهبة – ص١١١.
[٣] – آراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي – ص١٢٤.

١- ما لا تحصل مصلحته إلا للمباشر فعلاً فلا يجوز التوكيل فيها لفوات المصلحة بالتوكيل كالعبادة يقول الفارابي(("المؤمن" مَن تكون طاعته لمولاه ، وبغضه لدیناه وزاده تقواه،وعلامة ذكراه))[١]

ويستشهد بالآيات القرآنية كقوله تعالي((وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون))(الذاريات ٥٦) – المراد عند مشاهير أهل التفسير ليوحّدون))[٢].

ومن أحكام حقيقة الفعل الإنساني عند الفارابي التي لايجوز التوكيل فيها أيضاً مثل فضيلة الخشوع وهي من أهم أركان العبادة ،وأن الروحانيين مدبرون مشرفون على جميع الأفعال، واستعمال تعظيم الإله والصلوات والتسابيح والتقاديس، وأن الإنسان إذا فعل هذه وترك كثيراً من الخيرات المتشوقة في هذه الحياة ، وواظب على ذلك عُوّض عن ذلك وكُوفيَ بخيرات عظيمة))[٣].

ومن حقيقة الفعل الإنساني الإرادة والاختيار فيقول((ثم معنى الإرادة ماهو معنى الاختيار ماهو،وما الفرق بينهما وما السعادة القصوى التي لها كُوَن الإنسان،وما الشقاء الذي يصير إليه إذا مال عن طريق السعادة وأنّ الإنسان يصير إلى كلّ واحد منهما بإرادته واختياره وكيف يصير))[٤].

وبذلك تتم حقيقة الفعل الإنساني وأحكامه عند الفارابي ((أما أفعاله وقواه وملكاته التي يختص بها من حيث هو إنسان ،وها تتم إنسانيته وفضائله فهي الأمور الإرادية التي بها

---

[١] – الأسئلة اللامعة ولأجوبة الجامعة- الفارابي- ص٦٤.
[٢] - المصدر السابق – نفس الصفحة.
[٣] - آراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي- تحقيق د/ ألبير نصري نادر- بيروت- دار المشرق- الطبعة السابعة - ١٩٩٦م- ص١٦٠.
[٤] – الملة ونصوص أخرى – الفارابي- ص٨٣.

تتعلق قوة الفكر والتمييز ، والأشياء الإرادية التي تنسب إلي الإنسان من خيرات وشرور))[1].

ويقول الفارابي معلقاً((ما معني الأفعال الجميلة الفاضلة ،وما معني الرذيلة والأفعال القبيحة))[2].

وحقيقة الفعل الإنساني عند الفارابي يبحث عن الأخلاق فيقول ((وعن الملكات والأخلاق والسجايا والشيم التي عنها تكون تلك الأفعال والسنن وعن الغايات التي لأجلها تفعل ،وكيف ينبغي أنْ تكون موجودة في الإنسان وكيف الوجه في ترتيبها فيه على النحو الذي ينبغي أنْ يكون وجودها فيه، هذا العلم ويسمي الفلسفة الإنسانية))[3].

إذن يحدد الفارابي شروطاً معينة عند إيقاع الفعل حتى يصير الإنسان مدركاً وهي وجوب تقدم الأمر على وقت المأمور، وكذلك تعلق الأمر بالفعل ،ولابد للإنسان من معرفة ما ينتج عن فعله أما النتيجة قبل الفعل محال لأن الإنسان هو الذي يختار أفعاله حتى يتجنب الرذائل وهذا الاختيار لا يتم إلا عن طريق العقل فيقول((يحصل العقل الذي كان عقلاً بالقوة عقلاً بالفعل، وليس يمكن أن يصير كذلك شئ سوى الإنسان))[4].

---

[1] – تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق في التربية- أبن مسكويه- صحيحه أ. عبد العليم صالح – الطبعة الثالثة- مطبعة مدرسة عباس الأول – سنة ١٣٢٦هـ١٩٠٨م – ١٠.

[2] – الملة ونصوص أخرى – ص٥٢.

[3] – المصدر السابق – ص٥٢.

[4] – الحدود والرسوم – الفارابي- ص٣٦٩.

- **ومن حقيقة الفعل الإنساني:**أن يبين للإنسان ماهو أنفع وأجمل ويفسَّر له الفضائل حتي يتمسك بها ، وأيضاً يبين الفعل الحسن[*] والفعل القبيح فيقول((ثم ظاهر أن كل ماهو أنفع وأجمل،فإما أن يكون أجمل في المشهور ،أو أجمل في مِلّةٍ أو أجمل في الحقيقة ، كذلك الغايات الفاضلة أما أنْ تكون فاضلة وخيراً في المشهور،أوفاضلة وخيراً في مِلةٍ ما،أو فاضلة وخيراً في الحقيقة .

ولا يمكن أنْ يستنبط الأجمل عن أهل مِلةٍ ما إلاّ الذي فضائله الخلقية فضائل تلك الملة خاصة،وكذلك من سواه،وتلك حال الفضائل التي هي أعظم قوة والفضيلة الخلقية التي هي أعظمها قوة لا يفارق بعضها بعضاً))[١].

واختيار الفعل الحسن من حقيقة الفعل الإنساني عند الفارابي فيقول((العمل الإنساني:هو اختيار الجميل والنافع في المقصد المعهود إليه بالحياة العاجلة))[٢].

والفعل الإنساني هو الذي يحدد فضيلة الحق ورذيلة الجهل والقبيح:يقول الفارابي((للوقوف على الحق عرف الحق))[٣].

وعلى عكس ذلك يقول ((كل ذلك لئلايكون الشئ يمنع غرضه الجاهلي والقبيح))[٤].

---

[*] – حسن الخلق: مع الله عز وجل أن تؤدي أوامره ،وتترك نواهية،وتطيعه في الأحوال كلها من غير اعتقاد في استحقاق العوض عليه- الغنية في الخلاق والتصوف – الشيخ عبدالقادر الجيلاني- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولي ١٩٩٧م- ص٩٥ .

[١] – تحصيل السعادة- الفارابي- ص٧٤.

[٢] – الحدود والرسوم – الفارابي- ص٣٩١.

[٣] – آراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي- ص١٤٨.

[٤] – المصدر السابق- ص١٤٩.

ويقول أيضاً((الفلسفة العملية صنفان؛ أحدهما يحصل به علم الأفعال الجميلة والأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة وهذه تسمي الصناعة الخلقية))[1].

- **دعائم الفعل الإنساني عند الفارابي:-**

من أهم دعائم الفعل الإنساني عند الفارابي ما يلي:-

١- الإلزام[*]:

ينظر الفارابي للفعل الإنساني من منظور إسلامي :وأول هذه الدعائم الأساسية للإلزام هو ما يطلق عليه لفظ تكليف ، لأن التكليف متعلق بالفعل الإنساني،سواء في معرفة الفضائل والتمسك بها، أو معرفة الرذائل وتجنبها حيث يقول((وصناعة الفقة هي التي بها يقتدر الإنسان على أن يستنبط تقدير شئ مما لم يصرّح واضح الشريعة بتحديده عن الأشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير وأن يتحرى تصحيح ذلك على حسب غرض واضح الشريعة بالملة التي شرعها في الأمة التي لها شرّع ،وكل ملة ففيها آراء وأفعال))[2].

ولإنسان المكلف العاقل هو الذي يستنبط الآراء والأفعال من خلال الشريعة الإسلامية التي تنبه إلي الأوامر والنواهي،فكل ما فيه أمر فهو من مصلحة الإنسان ،وكل ما فيه نهي فهو يفسد الإنسان حيث يقول الفارابي((وكل ملة ففيها آراء وأفعال)).

---

[1] – الحدود والرسوم – الفارابي- ص٤١٩

[*] –الإلزام الخلقي: ((بأنه القاعدة الاسايسة والمدار والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي الذي يؤدي فقده إلي سحق جوهر الحكمة العملية ذاته – وفناء ماهيته ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية))- دستور الأخلاق في القرآن – محمد عبدالله دراز- ترجمة د/ عبدالصبور شاهين- بيروت- ١٩٧٣م- ص٢٢٠.

[2] – الملة ونصوص أخرى – الفارابي- ص٧٥.

فالآراء مثل الأراء التي تُشرع في الله وفيما يوصف به وفي العالم أو غير ذلك، والأفعال مثل الأفعال التي يُعظَّم بها الله والأفعال التي بها تكون المعاملات في المدن ولذلك يكون علم الفقة جزئين:

جزءً في الآراء، وجزءً في الأفعال[١].

ومن شروط تكليف العقل الإنساني حيث يقول ((هيئة ما في مادة مُعدَّة لأنْ تقبل رسوم المعقولات))[٢].

وفكرة الإلزام شرط مهم لدراسة الفعل الإنساني عند الفارابي حتي يصل الإنسان بفعله إلى الأخلاق الحميدة والسلوك الطيب فيقول((فإنه يلزم ضرورة أنْ يكون مَنْ يستعملهم من أهلْ الفضائل وأهل الصنائع في تأديب الأمم)) وأهل المدن طائفتين أوليتين:-

- طائفة يستعملهم في تأديب من يتأدب منهم طوعاً.

وطائفة يستعملهم في تأديب من سبيله أنْ يؤدّب كرها وذلك علي مثال ما يوجد الأمر عليه في أرباب المنازل والقوّام بالصبيان والأحداث فإن الملك هو مؤدب الأمم ومعلمها،كما أنّ ربَّ المنزل هو مؤدب أهل المنزل ومعلّمهم ، والقيم بالصبيان والأحداث هو مؤدب الصبيان والأحداث ومعلمهم))[٣] .

---

[١] – المصدر السابق – نفس الصفحة.
[٢] – الحدود والرسوم – الفارابي- ص٣٦٨.
[٣] –تحصيل السعادة – الفارابي٠ ص٨٠

مما سبق يتبين لنا أن الفارابي يستخدم الإلزام للوصول إلى الأخلاق من خلال استنباط القواعد الشرعية من صناعة الفقة ،وإن دل علي شئ فإنما يدل علي البيئة الصالحة لنمو الحياة الإنسانية .

وهناك الإلزام الداخلي والخارجي لدراسة الإفعال الإنسانية ((الأخلاق الإسلامية بين الإلزام الداخلي والإلزام الخارجي عرض تارخي لعلم الأخلاق أتجاه يرد القوانين الخلقية إلى سلطات خارجية يحضع الفرد بمقتضاها إلى مبادئ تمليها عليه سطات خارجية))[١].

ويبين الفارابي مفهوم العقل في اللغة بمعني الإلزام فيقول((قال أهل اللغة :"العقل" الحبس، و"العاقل" من حبس الأشياء في موضوعها ووضعها فيه – يقال "عقل لسانه" أي كفه عن القول وحبسه عما لا يعنيه))[٢].

*شروط التكليف لدعائم الفعل الإنساني (الإلزام):-

يحدد الفارابي شروطاً للمكلف من أهمها القدرة، ومعرفة الفعل قبل وقوعه فيقول: ((العقل العملي[*] :قوة بها يحصل الإنسان عن كثرة تجارب الأمور وعن طول مشاهدة))[٣].

---

[١] – الجانب الإيماني والأخلاقي في الإسلام- د/ مصفي عبد الجواد عمران وآخرون- مطبعة زهران- القاهرة – سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م- ص٢١٨.

[٢] – الأسئلة اللامعة والأجوبة الجامعة – الفارابي- ص٦٤.

[*] – ((قوة للنفس هي مبدأ لتحريك القوة الشوقية إلي ما يختار من الجزئيات من أجل مظنونة)) المعجم الفلسفي –د مراد وهبة – ص١١١.

[٣] - الحدود والرسوم – الفارابي- ص٣٧٠.

وعلم المكلف لابد أن يكون من كسبه وقدرته وإرادته،فيتحقق له السعادة حيث يقول((ولما كان شأن الخير في الحقيقة أن يكون ينال بالاختيار ولإرادة ، وكذلك الشرور إنما تكون بالإرادة والاختيار))[1].

ويقول الفارابي أيضاً((أنْ يكون جيد الفهم والتصور للشئ وللشئ الذاتي))[2]،إذن خطاب التكليف عند الفارابي يشترط فيه العقل والإرادة والقدرة والإختيار ولابد أن يكون الفعل من كسب الإنسان نفسه.

وخطاب التكليف لإيجاد الفضائل يتم عن طريق التعلم والتأديب فيقول((فإن الذي له القوة العظيمة ينبغي أنْ تكون له قدرة على تحصيل جزئيات هذه الأمم والمدن،وتحصيلها بطريقتين أوليتين هما:-

١-التعليم.

٢-التأديب

والتعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن، والتأديب هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية في الأمم والتعليم هو بالقول فقط، والتأديب هو أن تعوّد الأمم والمدينون الأفعال الكائنة عن الملكات العملية بأن تنهض عزائهم نحو فعلها))[3].

---

[1] – آراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي- ص١١٨

[2] – الحدود والرسوم- الفارابي- ص٤٢٢.

[3] – تحصيل السعادة – الفارابي- ص٧٨.

وينبهنا الفارابي إلى أن الجانب الروحي مهم في شروط التكليف لتحصيل الفضائل الخلقية فيفرق أولاً بين الرسول والنبي فيقول((قيل: الفرق بين الرسول والنبيّ أن الرسول الشارع أما النبيّ الحافظ شريعة غيره، والرسول يعم البشر والملك))[1].

ويبين لنا الحكمة من معرفة الرسل حيث يقول((قيل: الفائدة في إرسال الرسل معرفة الشريعة ،وفي إنزال الكتب معرفة العباد للحق))[2].

ومن أهمية الجانب الروحي حِكَم قصّ أنباء الرُسُل لمعرفة مكارم الأخلاق والأسوة الحسنة حيث يقول ((قال الحكماء :إنّ الله تعالي مَنَّ علي رسوله ختام النبيين بما يقصّ من أنباء الرسل والأنبياء الماضية والأمم الخالية لحكم:-

-أحدها إظهار لنبوّته ودلاله علي رسالته،لأنه لم يتعلّم علم نبأ السلف من أحد إلاّ من الله تعالي بواسطة جبريل صلوات وسلامه عليه.

-الثانية:لتثبيت فؤاده وذلك لقوله عزّ وجلّ((وكُلاً نَقُصُّ عليك من أنباء الرسل ما نُثبّت به فؤادك)) سورة هود١٢٠.

- والثالثة:لبيان ذكره ودرجته وذلك لقوله عز وجل[و] (كذلك نقصّ عليك (من) أنْباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرّا) سورة طة ٩٩.

- الرابعة :لتكون عبرة لأوّلي النهى من أمته وذلك لقوله تعالي((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب))سورة الكهف ١١١.

---

[1] ــ الأسئلة اللامعة والأجوبة الجامعة- الفارابي- ص٩٧.
[2] ــ المصدر السابق نفس الصفحة.

- الخامسة: إخباراً عن تعلّمه بالوحي أحوال الأنبياء وذلك لقوله عز وجل((تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت)) سورة هو٤٩.

- والسادسة: إنَّما قصّ الله تعالى عليه القصص لتكون أسوة حسنة وقدوة صالحة بمكارم أخلاق الرسل والأنبياء الصالحين.

- السابعة: لبيان النعيم عليه وعلى أمته وذلك لقوله عزّ وجلّ ((وأسبغ عليكم ظاهره وباطنه)) سورة لقمان ٢٠.فالنعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والنعمة الباطنة تضعف الصنائع [1].

من النصوص السابقة للفارابي يتضح لنا بأن الجانب الروحي من الإنسان يستحثه دائماً على تحصيل الفضائل ،وتبني القيم الروحية والمبادئ الإنسانية السامية،وتوصي تعاليم الأديان السماوية في كل ما تأتي الشريعة الإسلامية من أوامر ونواهي ومكارم الأخلاق الحميدة.

- **مصادر الإلتزام عند الفارابي:-**

١-الفطرة:

يستدل الفارابي بالدليل النقلي لبيان قيمة الفطرة وعلاقتها بالإلتزام حيث يقول :قال الله تعالي(فطرة الله التي فطر الناس عليها) سورة الروم ، الآية٣٠،(كان الناس أمة واحدة) سورة البقرة،الآية٢١٣.

[1] المصدر السابف ص ٩٦،٩٧.

وخلق الفعل والإستعداد الفطري من داخل نفس بشرية ويؤدي إلى الأخلاق يقول الفارابي((والفطر السليمة في إصطلاح الفلاسفة: إستعداد لإصابة الحكم ، والتمييز بين الحق والباطل))[١]

إذن عن طريق الفطرة يستيطع الإنسان أن يفرق بين الفضائل مثل فضيلة الحق ، وأيضاً يميز الرذائل مثل رذيلة الباطل ، ومن الجدير بالذكر بأن الفارابي يفسّر حقيقة الفطرة وطبيعتها بالنسبة للجانب النفسي والإجتماعي عند الإنسان، ويبين كيف يستيطع الإنسان أن يكسب أفعاله نحو الفضيلة والرذيلة فيقول((لا يمكن أنْ يفطر الإنسان من أوّل أمره بالطبع ذا فضيلة ولا رذيلة كما لا يمكن أن يفطر الإنسان بالطبع حائكاً ولا كاتباً ولكن يمكن أن يفطر بالطبع مُعدّاً نحو أفعاله فضيلة أو رذيلة بأن تكون أفعاله تلك أسهل عليه من أفعال غيرها، كما يمكن أن يكون بالطبع معداً نحو أفعاله الكتابة أو صناعة أخرى بأن تكون أفعالها أسهل عليه من أفعال غيرها))[٢]

ويشرح لنا الفارابي أحكام الفطرة الإنسانية المرتبطة بأمور التكليف والطباع السليمة لكي يكون الإنسان مسئولاً عن أفعاله وسلوكه حيث يقول((وإنَّ فطرة كل إنسان أنْ يكون مرتبطاً فيما ينبغي أنْ يسعي له بإنسان أوناس غيره،وكل إنسان من الناس بهذه الحال،وإنه كذلك يحتاج كل إنسان فيما له أن يبلغ من هذا الكمال إلي مجاورة ناس آخرين واجتماعه معهم))[٣]

---

[١] – تحصيل السعادة – الفارابي- ص١١٠.
[٢] – فصول منتزعة – الفارابي- ص٣١.
[٣] – تحصيل السعادة- الفارابي- ص٦٣

ويربط الفارابي بين الطبيعة والهيئة الاجتماعية :حيث يقول((وكذلك في الفطرة الطبيعية لهذا الحيوان أنْ يأوى ويسكن مجاوراً لمن هو في نوعه،فلذلك يسمي الحيوان الأنسي والحيوان المدني فيحصل هنا علم آخر ونظراً آخر يفحص عن هذه المبادئ العقلية وعن الأفعال والملكات التي بها يسعى لإنسان نحو هذا الكمال))[١].

***ومن أهم أحكام الفطرة الإنسانية:**الإستعداد لتقبل الفضيلة والرذيلة ولكن من الصعب أن يتغير الإنسان وفعله من الفضيلة إلي الرذيلة أومن الرذيلة إلى الفضيلة إلا عن طريق العادة[*] فيقول الفارابي((عسير بل غير ممكن أن يوجد إنسانٌ مفطورٌ على إستعداد نحو أفعال ثم لا يمكنه أن يفعل أضداد تلك الأفعال ،لكن أي إنسان فُطر على هيئة واستعداد نحو أفعال فضيلة أو رذيلة ،فإنّه قادر على أن يخالف ويفعلْ الفعل الكائن عن ضدّ ذلك الاستعداد ،لكنّ يعسر عليه ذلك))[٢].

العادة وأهميتها بالنسبة للفطرة عند الفارابي فيقول((إلى أن يتيّسر بالعادة ويسهل علي مثال ما عليه فيما يتمكن بالعادة،فإن ترْك ما قد اعتيد،وأن يُفعل ضدّه ممكن إلاّ أنّه يعسر حتى يُتعوّد أيضاّ))[٣].

---

[١] – المصدر السابق- نفس الصفحة.

[*] – العادة : ((عند أرسطو عادة ،وهي عادة الوسط الفاضل، وفي علم النفس العدة قدرة مكتسبة علي أداء عمل بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد في المجهود))- المعجم الفلسفي – د/ مراد وهبة – ص١٠٤

[٢] – فصول متنوعة – الفارابي- ص٣٥،٣٦

[٣] –المصدر السابق- ص٣٦.

الخـــاتمـــة

وهكذا فقد تبين لنا بعد استعراض آراء الفارابي في الفعل الإنساني أنه جاء متسقاً تماماً مع فلسفته الإنسانية والاخلاقية وكانت نظرية الفعل الإنساني عند الفارابي تهدف إلى تهذيب النفوس الإنسانية مثل النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة بالتمسك بالأخلاق الكريمة وكذلك فعل الخيرات والحسنات والبعد عن السيئات والعمل السوء.

ومن الجدير بالذكر بأن الفارابي قسم الأفعال الإنسانية حسب المصالح الدالة علي الفضائل الأخلاقية.

وأيضاً تحدث عن دعائم الفعل الإنساني وحقائقه مثل أن الإنسان لابد أن تكون لديه الحرية والاختيار عندما يقوم بأفعاله وسلوكه.

وتناول الفارابي مصادر الإلزام وهي الفطرة والهيئة الاجتماعية وكذلك تحدث عن المسئولية الأخلاقية وعلاقتها بالسريرة الداخلية عند الإنسان(النية)

ويشرح لنا الجزاء لأنه من ضمن النتائج المترتبة على الفعل الإنساني وأيضاً قسم الجزاء إلى الجزاء الدنيوي والجزاء الأخروي المرتبط بالآخرة.

بعد الانتهاء من هذا البحث يتبين لنا أن الفارابي استطاع أن يفسّر مشكلة الفعل الإنساني بوجه عام من خلال فلسفته الإنسانية والأخلاقية

المصـــادر والمراجـــع

١- الفـارابي:الحـدود والرسـوم :تحقيـق د/ جعفـر آل ياسـين – عـالم الكتـب –الطبعـة الأولي- ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢- الفارابي:تحصيل السعادة- تحقيق د/جعفر آل ياسين- دار الأندلس للطباعة والنشر – الطبعة الأولي- ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣- الفارابي :فصول منتزعة- تحقيق د/ فوزي متري النجار- دار المشرق بيروت- الطبعة الثانية -١٩٩٣م.

٤- الفارابي: أراء أهل المدينة الفاضلة- قدمه وعلق عليه د/ ألبير نصري نادر- الطبعة السابعة – ١٩٩٦م.

٥- الفارابي:الملة ونصوص أخري- حققها وقدم لها محسن مهدي – دار المشرق – بيروت- الطبعة الثالثة- ٢٠٠١م.

٦- الفارابي:رسالة الأسئلة اللامعة والأجوبة الجامعة- تحقيق –محسن مهدي- الطبعة الثالثة- مطبعة مدرسة عباس الأول – سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.

٧- أبن مسكوية: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق في التربية- صححه أ.عبد العليم صالح- الطبعة الثالثة – مطبعة مدرسة عباس الأول- سنة ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م.

٨- مصطفي عبد الجواد وعمران وآخرون: الجانب الإيماني والأخلاقي في الإسلام- مطبعة زهران- القاهرة – سنة ١٣٧٩هـ- ١٩٧٧م.

٩- مراد وهبة وآخرون: المعجم الفلسفي- القاهرة – سنة ١٩٦٦م.

١٠- ظهير الدين البيهقي:تاريخ حكماء الإسلام – تحقيق ممدوح حسن محمد- مكتبة الثقافة الدينية- الطبعة الأولي- ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١١- كارل برو كلمان:تاريخ الأدب العربي- ترجمة د/ عد الحليم النجار- الطبعة الثالثة- جـ٤- دار المعارف بمصر- سنة ١٩٧٤م.

١٢- عبد القادر المغربي: الأخلاق والواجبات- المطبعة السلفية- القاهرة- سنة١٣٤٧ هـ..

١٣- عبدالله دراز(محمد) : دستور الأخلاق في القرآن – ترجمة عبدالصبور شاهين- بيروت- لبنان- ١٩٧٣م.

١٤- عبداللطيف محمد العبد :الأخلاق الإسلامية- دار العلوم – الطبعة الأولي – ١٩٨٣م.

١٥- عبدالقادر(الشيخ عبدالقادر الجيلاني) المتوفي ٥٦١هـ: الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية- دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولي – ١٩٩٧م.